الإضافة إلى ياء المتكلم ولغات العرب فيها

المضاف إلى ياء المتكلم يكسر آخره وجوبًا، ويستثنى من ذلك أربع مسائل: المقصور، المنقوص، المثنى، جمع المذكر السالم، فمع هذه المسائل الياء واجبة الفتح، وآخر الاسم واجب السكون وقد جاءت الياء ساكنة مع الألف في قراءة نافع[1]. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وذلك إما لأن الألف أكثر مدًا من أخويه الياء والواو فهو يقوم مقام الحركة من جهة صحة الاعتماد عليه، وإما لإجراء الوصل مجرى الوقف، ومع هذا فهو ضعيف عند النحاة، والاستقراء عن العرب أثبت وجود اختلاف بينهم فيما يختص بإضافة هذه الياء إلى بعض تلك الأسماء من حيث:

١- وجوب فتحها عند الإضافة إلى جمع المذكر السالم، والمقصور أو بقاء آخره على السكون.

٢- بقاء ألف المقصور على حالها وإبدالها ياء.

ففيما يتصل بالحالة الأولى:

١- فإن النحاة مجمعون على أن ياء المتكلم إذا أضيف إلى جمع المذكر السالم حذفت النون منه وأدغمت ياؤه فى ياء المتكلم وتحرك على الفتح.

على أنه قد نقل عن بعض العرب أنهم يحركون هذه الياء حينئذ على الكسر، وذلك لتشبيه الياء بالهاء كما في نحو فيه ولديه[2]، وعليها قراءة حمزة ويحيى بن وثاب والأعمش وحمران بن أعين وجماعة من التابعين بكسر الياء من قوله تعالى[3]: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقد نسبها قطرب إلى بني يربوع، وأجازها هو والفراء، وإمام اللغة والنحو والقراءة أبو عمرو بن العلاء والقاسم بن معن النحوى[4].

---

(١) شرح الشاطبية ٢٠٢، النشر ٢: ٢٦٧.
(٢) شرح الكافية ١: ٢٥٩.
(٣) الإتحاف ٢٧٢، شرح الشاطبية ٢٣١، حجة القراءات ٣٧٧، النشر: ٢: ٢٩٨، شرح الكافية ١: ٢٩٥.
(٤) النشر ٢: ٢٩٨.. ومعانى القرآن ٢: ٧٥.

٢- ذهب بعض النحاة إلى أن الكسر فيما آخره ياء عند إضافته إلى ياء المتكلم نحو: فيِّ وليِّ وبيِّ. . . لغة بني يربوع لكنه عند النحاة ضعيف كقراءة حمزة وأتباعه ﴿ **مَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ** ﴾ .

وقد نقل الواحدى -فى تفسيره الوسيط- عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة في بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء، نحو: هَلْ لَّكِ يَا تَا فِيّ(*) قالوا: وهذه اللغة باقية شائعة ذائعة في أفواه أكثر الناس إلى اليوم، يقولون: ما فيِّ أفعل كذا، ويطلقونها في كل ياءات الإضافة المدْغَمِ فيها فيقولون: ما عليِّ عندك، ولا أمرك إليِّ، وعليها رووا عن قطرب:

عَلَيِّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِه لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ(**)

ورووا عنه أيضًا:

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونَ ... أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُّون(***)(١)

وإنما كسروا في أمثال ذلك خوفًا من التقاء الساكنين، ولهذا استثقلت قراءة الحسن وأبي عمرو «هِيَ عَصَايِ» بكسر الياء، وكسرها في نحو هذا أضعف من سابقه بيد أن له وجها في العربية استنادًا إلى قراءة حمزة، ﴿ **مَا أَنتُم**

---

(١) خزانة الأدب ٢: ٢٦٠ وما بعدها.

(*) هذا البيت من أرجوزة للأغلب العجلي، وهو شاعر جاهلي إسلامي. وأول هذه الأرجوزة:

أقبل في ثوب معافري ... بين اختلاط الليل والعشي

قالت له: ما أنت بالمرضي ... قال لها: هل لك يا تافي

والشاهد في: فيّ. . حيث كسرت ياء المتكلم من في. . وهي لغة لبنى يربوع.

وقد اختلف النحاة في أمثال ذلك، وبعضهم ضعفها ولهم أقوال في أمثالها.

(**) هذا البيت قد نسب إلى النابغة الذبياني من اعتذار له لعمرو بن الحارث الأصغر الغساني- الديوان ٩. ط بيروت. ونعمة بعد نعمة: النعمة هي المسرة واليد البيضاء الصالحة. وعقارب: أي النمائم والشدائد. والشاهد في قوله: عليّ. . حيث كسرت ياء المتكلم منها عند إضافته إليها على رواية أوردها قطرب.

(***) البيت قد نسب إلى ابن ضبيعة وصبية: جمع صبي وهو من لم يفطم بعد.

وصيفيون: من أصاف الرجل: أي ولد له في الكبر وولده صيفي وصيفيون.

وربعيون: نسبة إلى الربيع. وفلح: فاز. . والشاهد في قوله: إن بنيّ. . حيث كسرت فيه ياء ضمير المتكلم.

﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾[1] وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أن قبلها كسرة وياء والفتحة والألف في عصاي أخف من الكسرة والياء في مصرخي[2].

ولم يقف أئمة العربية من هذه القراءة وما جاء على شاكلتها موقفًا واحدًا بل افترقوا شعبتين:

١- فمن مضعف لها، منكر لجوازها من العرب كأبي عبيد والأخفش والزجاج والفراء والزمخشري.

يقول أبو عبيد: تراهم غلطوا ظنوا أن الياء تكسر لما بعدها.

وقال الأخفش ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين[3].

وقال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف[4].

وقال الفراء: لعلها من وهم القراءة فإنه قل من سلم منهم من الوهم ولعله ظن أن الباء في ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ خافضة للفظ كله والياء للمتكلم خارجة من ذلك[5].

وقال الزمخشري: هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قَالَ لَهَا: هَلْ لَّكِ يَا تَا فِيِّ قَالَتْ لَهُ: مَا أَنْتَ بِالْمُرْضِيّ[*]

وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركوا بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث لها ألف نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء، فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل، قلت: هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات[6].

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢: ٢١.

(٢) النشر ٢: ٢٩٨ وما بعدها، الخزانة ٢: ٢٦٠.

(٣) البحر المحيط ٥: ٤١٩.

(٤) نفسه والجزء والصفحة.

(٥) الفراء -معاني القرآن ٢: ٧٥ وما بعدها.

(٦) الزمخشري: الكشاف ٢: ٣٧٤.

(*) تقدم شرح البيت، والكلام عليه.

٢- ومن قابل لها لأنها قراءة صحيحة اجتمعت فيها شروط قبول القراءة الثلاثة. . . وقياسها في النحو صحيح، وجاءت موافقة لبعض لغات العرب وهي ذائعة في أفواه كثير منهم. . . وإلى ذلك ذهب مكي بن أبي طالب وابن الجزري[١] وأبو حيان حيث يقول: وهي باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم يقول القائل: ما فيّ أفعل كذا بكسر الياء. . . وقرأ بذلك القراء نحو: محياى. . وما ذهب إليه من ذكرناه من النحاة لا ينبغي أن يلتفت إليه، واقتفى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال: إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة لكنه قل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع.

وقال القاسم بن معن -وهو من رؤساء النحويين الكوفيين- هي صواب. وسأل حسين الجعفي أبا عمرو بن العلاء وذكر تلحين أهل النحو فقال: هي جائزة. وقال أيضًا لا تبال إلى أسفل حركتها أو إلى فوق وعنه أنه قال: هي بالخفض حسنة. وعنه أيضًا أنه قال: هي جائزة، وليست عند الإعراب بذلك، ولا التفات إلى إنكار أبي حاتم على أبي عمرو تحسينها، فأبو عمرو إمام لغة وإمام نحو وإمام قراءة، عربي صريح، وقد أجازها وحسنها، وقد رووا بيت النابغة:

عليِّ لعمرٍو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ لوالدِهِ ليستْ بذاتِ عقارِبِ

بخفض الياء من علي[٢].

والعجيب من الفراء فإنه قد سمع هذه اللغة تنشد في أشعار بعض العرب ومع ذلك فقد ذهب يخرجها وينسبها إلى الخطأ ويرمي قارئها بالوهم[٣].

أما الناحية الثانية: فالمشهور عن العرب أنه متى أضيف ما آخره ألف المثنى المقصور إلى ياء النفس بقيت الألف على حالها وفتحت ياء الإضافة لسكون ما قبلها هربًا من اجتماع ساكنين في آخر الكلمة، ومن ثم قالوا في الاختيار: عصايَ وقفايَ ولدايَ وهوايَ وعلايَ وبشرايَ وهدايَ. . . دفعًا لالتقاء الساكنين وقد تسكن

(١) إعراب مشكل القرآن ١: ٤٤٨ وما بعدها، النشر ٢: ٢٩٩، البحر ٥: ٤١٩ وما بعدها.

(٢) البحر ٥: ٤١٩ وما بعدها. (٣) معاني القرآن- الفراء ٢: ٧٦.

في جميع ما سبق قرأ الحسن وابن أبي إسحاق الجحدري قوله تعالى «هِيَ عَصَايْ» بسكون الياء، وهي مروية عن بعض القراء كالحسن. وابن أبي إسحق والجحدري والأعمش وروى ورش عن نافع «يَا بُشْرَايْ» بسكون ياء الإضافة وهي جمع بين ساكنين(١).

على أن النحاة قد نقلوا لغة أخرى تخالف المعهود في مثل هذه الألف عند الإضافة إلى ياء المتكلم حيث قلبوا الألف ياء جوازا وأدغموها في ياء المتكلم رفعًا ونصبًا وجرًا في النثر والنظم فقالوا: عصيَّ وقفيَّ وهويَّ وبشريَّ وهديَّ ولديَّ وعليَّ. . . ولعل السبب في هذا القلب خفاء الألف والياء وكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا البيان فكان ذلك القلب(٢).

وقرأ أبو الطفيل والحسن وابن أبي إسحق والجحدري وعيسى بن عمر: هَدَيَّ وعصيَّ وعسيَّ وسويَّ ورؤيَّ ويا بشريَّ وورش والأعرج عن نافع: بشرايْ(٣).

وقد نسبها أكثر النحويين إلى بعض هذيل، وقالوا: إن هذيلا من سائر العرب يبدلون ألف المقصور ياء ويدغمونها في ياء المتكلم. . .

وأنشدوا على ذلك قول شاعرهم أبي ذؤيب الهذلي:

سَبَقُوا هَوَيَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ(*)

وحكى عيسى بن عمر الثقفي شبه هذه اللغة عن قريش، قالوا: وقد رويت عن النبي ﷺ(٤) وحكاها الواحدي في البسيط عن طيء في قوله تعالى: ﴿**فمن اتبع**

---

(١) شرح الشاطبية ٢٢٥، البحر المحيط ١: ١٦٩، ٦: ٢٣٤، ٥: ٢٩٠.

(٢) الكتاب ٢: ١٠٥.

(٣) شرح التسهيل ٣: ٣٣، الشواذ ٦٢، ٨٧، البحر ١: ١٦٩، ٥: ٢٩٠، ٦: ٢٣٤.

(٤) الإيضاح ٨٠، شرح اللمع ٣٤١، الخزانة ٢: ٢٥٧، شرح التسهيل: ٣: ٣٣، الشواذ ٦٢.

(*) البيت قد نسب إلى أبي ذؤيب الهذلي، واسمه خويلد بن خالد، أوردها بكاملها أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب باب المراثي ص ٢٤١. وأعنقوا: تبع بعضهم بعضًا، وتخرموا: أخذوا واحدًا واحدًا. ومصرع: معناه أن كل إنسان يموت. يقول: مضوا للموت وتخرمتهم المنية.
والشاهد في قوله: هدى. . حيث قلب فيه ألف المقصور ياء وأدغمت الياء في الياء فإن أصله: هداى، وهذه لغة هذيل فإنهم يفعلون ذلك في كل المقصور.

هداي﴾[1]. . وأمالها حمزة والكسائي وقللها ورش. واختلف فيها بين هذه الوجوه عن أبي عمرو[2]، ولا أرى تضاربًا بين نسبة هذه اللغة إلى هذيل وبين نسبتها إلى قريش، فالقوم يلتقون في النسب مع إخوانهم القرشيين في جد واحد، وهو مضر[3]. كما أن لاتصال الهذليين ببني لحمتهم أعظم الأثر فيما أصاب لغاتهم من أوجه التشابه، فقد وطدت بينهم عوامل اقتصادية وأخرى اجتماعية وتقاربت مساكنهم ومحال إقامتهم وارتبطوا بهم في كثير من شئون حياتهم فترك جميع ذلك آثاره على لغاتهم.

ومن هنا فلا ريب في أن تأخذ القرشية بعض سمات اللهجة الهذلية وأن تستعير الأخيرة كثيرًا من أساليب اللهجة القرشية لتعوض ما تفتقده منها. لكن الصعوبة - في نظري- تكمن في عزو هذه اللهجة إلى طيء.

والواقع أنه لا يوجد مبرر للقول بذلك لا سيما النواحي التي نزعم أنها مظنة التأثير اللهجي بين مختلف لهجات قبائل العرب إذا علمنا أن طيئا لا ترتبط بهذيل بأي نوع من أنواع الصلة الظاهرة، فهذيل عدنانية مضرية بينما طيء قحطانية يمانية.

كما أنها لم ترتبط بها -على ما يبدو- ارتباط مصالح أو اشتباك علائق، إضافة إلى تباعدهم عنهم في السكنى وعلاقات الجوار فهذيل حجازية غربية كانت تقيم نواحي مكة والطائف وما جاورها من بلاد.

أما طيء: فقد كانوا يسكنون شمال وسط الجزيرة العربية وأغلب بيئتهم بدوية صحراوية. . ومع ذلك فقد نقل بعض العلماء أن صدى هذه اللهجة قد تردد في أقوال بعض الطائيين[4].

وعسير علينا -بناء على ما سبق- أن ننسب لهجة واحدة لفئتين من العرب لا ارتباط ظاهري بينهما لا في النسب ولا خلافه من شئون الحياة، كما أنه لا يوجد بينهم تشابه كبير في البيئة.

---

(١) شرح التسهيل ٣: ٣٣، البحر ٥: ٢٩٠، شرح التصريح ٢: ٦١.

(٢) شرح الشاطبية ٢٢٥.

(٣) السبائك ٢٠ وما بعدها -شرح التصريح ٢: ٦١.

(٤) شرح التصريح ٢: ٦١.

ونحن نميل هنا إلى القـول بأن ما عزي إلى هذيل إنما هو لهـجة لبعـضهم ممن كانوا يشتركون مع بعض الطائيين في شيء ما من سمات بيئتهم الصحراوية.

وبتأملنا فـيما حكي عن هذيل نرى أنهم إنما مالوا إلى قلب ألف المـقصور عند إضافته إلى ياء المتكلم لأن الألف خفية واليـاء خفية أيضًا، وكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان[1]، فكان القلب ثم الإدغام.

وهذا ما نجد شبـيهًا له عند بعض طيء فقد كانوا يقـولون في: أَفْعَى، وَحُبْلَى: أَفْعَيْ وحُبْلَيْ[2] بسبب خـفاء الألف في الوقف فـأبدلت ياء قصـدًا إلى الإيضاح وعدم الإلباس.

ومن هنا نرى اشـتـراك بعض الطائيين مع بعض هذيـل في هذه الظاهرة إذ هي من سمات البيئة البدوية وإحدى خصائصها النطقية.

المنادى المضاف إلى الياء- واللغات فيه

وتقدر فيه الضمة على الياء، والفتـحة على الحرف الذى يليه الياء. أما الكسرة فقـيل لا تقدر والكسـرة الموجودة قبل اليـاء وهي حركة الإعـراب اكتـفي بها في المناسـبة، وقيل: تـقدر أيضًا وهـذه حركة المنـاسبة لوجـودها في سائـر الأحوال واستحقاق الاسم لها قبل التركيب[3].

وقد اختلفوا في أصل حركة هذه الياء، هل الفتح أو الإسكان؟ على أقوال[4]..

وقد وزعوا اللغات في المضاف إلى ياء المتكلم على أربعة أقسام:

١- ما فيه لغة واحدة وهو المعتل فإن ياءه ثابتة وجوبًا ومفتوحة دائمًا وذلك لئلا يؤدي المجيء بها ساكنة إلى اجتماع ساكنين نحو يا فتاي، ويا قاضي..

٢- ما فـيه لغتان: وهو الوصـل المشبه للفعل فـإن ياءه ثابتة لا غيـر وهي إما مفتوحة أو ساكنة نحو: يا مكرمي ويا ضاربي.

---

(١) الكتاب ٢: ١٠٥.

(٢) الكتاب ٢: ١٠٥، شرح المفصل ٩: ٧٦.

(٣) الهمع ١: ٥٣.

(٤) شرح الكافية ١: ١٤٧.